الصابئة.. الحياة قرب الماء

اجيال من الشهداء.. وقامات عالية للابداع و صوت رخيم من اجل السلام

كالفورنيا/ فالح حسون الدراجي

ماذا لو راح العرسان يبحثون في أسواق العراق عن (الخَسَل) فلا يجدون ذكرا، ولا أسماً لإبداعات زهرون بن ملا خَضر، وحسين زهرون، وعنيس الفياض، وناصرومنصورحاتم، وعبد سكوت، وبدن خضر، وكريم النشمي، وياسر صكر، وزامل وضامن حويزاوي، وسعد رهيف، وحامد عبد الرزاق رويد وأخوته،أو ربما لايجد شيئاً من بقايا إبداع نصير شميل وأخوته الصاغة المبدعين، وكيف سيكون حال شارع النهر، لوهجره (أسطوات) الذهب من الصاغة الصابئيين، وإذا ما هجره هؤلاء حقاً، فهل سيظل هناك شارع أسمه شارع النهر،ولوأبيد الصابئة لاسمح الله، فأي دمع سيذرفه الذهب، وتسفحه عليهم الفضة ؟ كيف سيكون حال الشعرالعراقي، لو لم تكن فيه الأميرة الصابئية لميعة عباس عمارة ؟! وكيف ستخرج القصيدة الشعبية العراقية بدون (نوابها) المبدع المندائي همام عبد الغني؟! وكيف سيخرج المبدع قاسم حول بعربة (الحارس) دون أن يكون معه في الصدارة الفنان الصابئي مكي البدري، بخاصة وقد ترجلت منها الفنانة الكبيرة زينب، حيث مضت الى بيتها الأزلي قبل سنوات، وكيف ستكتمل الصورة الزاهية للفن العراقي، بدون إشراقات الفنانين المندائيين،أمثال الفنان أزهرجبارالخميسي، والراحل أسمرزهرون،والراحل غالب ناهي، والراحل قيس حاضر، والفنانة سوسن سلمان سيف، والفنانة إشراق عربيي، وبين هذه الأسماء يلمع أسم الفنان القديرالدكتورحكمت السبتي، كواحد من الأصوات الوطنية الشامخة، وهل ثمة معنى للتشكيلة الفنية الباهرة في المنافي، ومثال على ذلك (منفى) مدينة ديترويت الأمريكية، لو لم يجملها اللون المندائي، ويعطرها أريج الإبداع الصابئي الذي يفوح دائماً من إبداع الشاعرالدكتورقحطان المندوي،وفنون الأخوة الثلاثة نشأت، وطلعت وسميرالمندائي؟! من سيؤرخ للنضال الوطني التحرري، بصدق وحيادية وإخلاص منقطع النظير، لو لم يكن ثمة صابئي أسمه عزيز سباهي، وقبل ذلك، بمن سيتباهى علماؤنا يوماً،وبمن ستفخرأجيال الجامعيين(البغداديين) لولم تكن هناك قامة علمية دولية باسقة، و(هامة) جامعية فذة أسمها عبد الجبارعبد الله، وغيره عشرات العقول المندائية الكبيرة والنابغة !!

ستار شدَّة ورد :-

كثيراً ما سألت نفسي :- كيف سيغني فتيان الشبيبة الديمقراطية جيلاً بعد جيل، أغنية الشهادة الخالدة، تلك التي مطلعها (ستار شدة ورد) لو لم يكن ثمة صابئيون أحرار، خرج من بينهم فارس أسطوري أسمه ستارخضير، والى أين سنمضي بهذا السجل الخالد والباهر من الشهداء المندائيين العراقيين، لو لم يكن هناك مندائيون في الخليقة العراقية، أحقاً أن هذه القائمة الطويلة والعريضة من الشهداء،هم من أبناء الصابئة فقط، وإذا كان هذا الأمر صحيحاً، فكيف إذاً يقولون، أن المندائيين (فقره) ومسالمون، (ويمشون مع الحيط) ؟!

قائمة كبيرة من المضحين، لا تتناسب قطعاً مع نسبة نفوس الصابئة، إذ لايعقل أن من بين أربعين، أوخمسين ألف صابئي في العراق، ينبثق هذا العدد الهائل من الشهداء الشجعان !!

تعال معي عزيزي القارئ لتتعرف بنفسك على عدد من شهداء الصابئة البواسل، هل نبدأ من الشهيد الفذ صبيح سباهي،أم من صالح هليج شفيف،أم من عبد الجبارعسلاوي الزهيري - بأعتباره أول شهيد صابئي في الحركة الوطنية العراقية -أم نبدأ ياترى من الشهيد المؤلف الدكتورعبد الرزاق مسلم الماجد - أستاذ الفلسفة في جامعة البصرة - والشهيد هيثم الحيدر، والشهيد سميرجبار حامي، والشهيد نافع الحيدر، أم سنبدأ من الشهيدة البطلة إكرام عواد سعدون، ومعها الشهداء سميع جاني، والشهيد شنورعودة، والشهيد شاكرنعمة هليل، أم سننطلق من الشهيد البطل حميد شلتاغ، والشهيدة عميدة عذبي حالوب، أم سنترك قائمة الشهداء المندائيين، لأنها قائمة طويلة، ولاتنتهي قط من النجوم اللامعة في سمائنا الناصعة!

ماذا لوأنتهى المندائيون فعلاً في عمليات الأبادة الشاملة، والتهجيرالدولي القسري وأختفوا تماماً - لاسمح الله - من الوجود العراقي ؟! كيف سيتقبل العراقيون أختفاء، أو زوال نوع فريد من انواع مجتمعهم المنوع، بخاصة وأن هذا النوع، هو نوع قليل أصلاً، قياساً الى الأصناف والأنواع البشرية العراقية الراقية، وأية كارثة ستلحق بالفسيفساء العراقية التي نتباهى بها أمام المجتمعات الأحادية، ونفاخردائماً بموزائيكية المجتمع العراقي وأطيافه؟!

> إتصل بي صديق كلداني ، ليقول لي بصوت مرعوب :- يتعرض الصابئة اليوم يافالح الى مضايقات ، لم يحدث مثلها من قبل!! وما أن وضعت سماعة التلفون ، حتى راحت الصورتتداخل في مخيلتي وتتشابك ألوانها ،فتتصادم الوساوس ، والمخاوف ، وبدأت الحكاية تأخذ مأخذاً جاداً ، حتى ان الأسئلة تواترت ، وتزاحمت ، وعلامات التعجب والأستفهام تناسلت لتشغل كل مساحة العقل ، فتخيلت مباشرة ودون مقدمات ، ان العراق سيكون غداً ، أو بعد غد بلا صابئة ، ولامندائيين لاسمح الله ، ولم يخرج خيالي عن هذه الصورة قط ، فماذا لويفتح أبي عينه غداً فلا يجد في سوق مريدي أصحابه الصاغة : عدنان المندائي ، وعلى يمينه محل ولده وسام ، وعلى شماله محل ولده دريد ، ويتجه الى الجهة الثانية فلا يجد محل الصائغ حميد البيضاني ،أوالصائغ أبوماجد ؟!

من الطقوس الدينية للطائفة الصابئية المندائية على ضفاف نهر دجلة

وبينما أنا منشغل بهذه الصور، وتلك التخيلات المرعبة،أتصل بي أمس أستاذنا البروفسور عبد الأله الصائغ، ليطلب مني مقالة عن الصابئة (وبأسلوبي الخاص) - كما يقول الصائغ - وهوطلب أتشرف به من استاذنا القدير، البروفسورالصائغ، وكم كان مفاجئاً له، حين أخبرته بأني كنت قد بدأت بكتابة مقال عن ذات الموضوع، الا أني لم اكمله بسبب أنشغالي بظروف عائلية خاصة، إضافة الى التداعيات المؤلمة التي نتجت عن عملية التفجيراللئيم في أحد أسواق مدينة الثورة والصدر،وما تبعها بعد يومين من جريمة جبانة، راح ضحيتها أثنان من أبناء عمومتي، حيث أغتال الطائفيون شابين من أقاربي في منطقة راغبة خاتون / الأعظمية، على الرغم من أن الشهيدين البارين (ميثم وحسين) هما من مواليد المنطقة، وقد عاشا وتربيا مع الآخرين سوية دون تمييز!!

والشهيدان المظلومان شقيقا المخرج نجم جدوع الدراجي، وقريبا كابتن الكرة العراقية عبد كاظم. وما أن أنتهت مكالمة الأستاذ الصائغ، حتى هرعت لأكمال المقال ثانية، وقبل ذلك وضعت تحت يدي عدداً من المصادر، منها كتاب (جذورالصابئة المندائيين) للأستاذ عزيز سباهي، وصفحة (اسئلة وأجوبة عن الديانة المندائية للشيخ الترميذة علاء النشمي) وبعض المعلومات التي قد احتاج إليها، حيث كان الأستاذ نزارعبد الزهرة قد أفادني بها من قبل!! ولأن الموضوع المندائي موضوع ذو حساسية بالغة، فضلاً عن فقر المكتبة العامة للمصدر الصابئي، بسبب خصوصية الديانة المندائية، فضلاً عن الحصارالذي تفرضه الطائفة حول خصائص دينها، وتفاصيل حياتها الدينية (شبه السرية) وطرق عباداتهم، والى ماشابه ذلك.

أشياء عن المندائيين :-

لا أريد أن أتحدث كثيراً عن أصول، وحياة، وعقائد الصابئة، بأعتبار أن هذه الشروح، هي من تخصص المؤرخين، والباحثين من ذوي التخصص، بقدر ما أردت أن أمر على بعضها بشكل سريع، خدمة لجوهرالمقال وهدفه السياسي، الذي يندرج ضمن المقالات التي تدعو الى حماية فئة من فئات المجتمع العراقي، بخاصة وان هذه الفئة تتعرض للأبادة التامة على يد المتطرفين والتكفيريين، والمتعصبين، وعلى يد بقايا البعث المهزوم،أولئك القتلة الذين يحاولون تدميرالبنية التأريخية،وتمزيق الوعاء الوطني للمجتمع العراقي، لذا فأن معرفة تأريخ الصابئة، وجذورهم العراقية أمرهام وضروري، وحتى لا (أدوخ) القارئ الكريم بهذه التأريخية، وتسلسلاتها، فأني أختصرالكثيرفأقول : إن الطائفة الصابئية نشأت في وسط وجنوب وادي الرافدين قبل ظهورالمسيحية، وهي ديانة حذرة، شبه سرية،بسبب الأضطهادات التي تعرضت لها طيلة القرون الماضية (وبامكان القارئ الأطلاع على كتاب أصول الصابئة المندائيين، ومعتقداتهم الدينية، للكاتب عزيز سباهي، الصادر من دار المدى، لمعرفة المزيد عن تلك الفترة، وماتعرض لها المندائيون) !!

يعرف المتخصصون، الديانة المندائية :- بأنها شرعة الحياة الفطرية (شرشا أدهيي) وهي أمتداد لشريعة عوالم النور - عوالم الله - فهي تعني المعرفة، أي معرفة الرب وتوحيده، والمندائية هي أيضاً معرفة الحياة، لذلك يعتبرالمندائيون (آدم) أول أنبيائهم، لأنه أول إنسان عاقل، وعدا (آدم) فأن للمندائيين عدداً من الأنبياء، من بينهم (شيتل) أبن (آدم) الذي أفدى والده، فكانت روحه الأقدس بين البشر ثم النبي (سام بن نوح) أوالمتعبد الخاشع، وهو النبي الذي تزخر الكتب الدينية المندائية المقدسة بصحفه، وقصصه، وتراتيله، ثم يأتي بعده النبي (يهيا يوهنا) أو يحيى بن زكريا - يوحنا المعمدان - (الحبيب المرتفع) حيث يحتفظ المندائيون بكتابه الذي (خطت قسم منه أنامله المقدسة، وزاد عليه تلاميذه من بعده) ويعد النبي (يهيا يوهنا) النبي الأخير الذي يؤمن به المندائيون !!

والمندائية تؤمن باله واحد، معبود، مستقل، ومبعوث بذاته، غيرمحدود الأسماء والصفات، والقوة، والإرادة، لذلك تطلق عليه أسم (هيي - الحي - الحياة) !!

أما الكتاب المقدس للمندائيين فهو (كنزا ربا) أو الكنزالعظيم، وسمي بالكنز، لأنه يحتوي على جميع صحف الأنبياء، والآباء الأوائل للمندائية، وكذلك يحتوي على شرعة الحياة الفطرية في معرفة البشر للرب العظيم، اضافة الى مجموع النبوءات لما سيحدث في العالم منذ خلقه وحتى المنتهى، كما يحتوي هذا الكتاب على الشرائع الألهية، والتعاليم الروحية، والنصائح الدينية والأدبية التي تناسب جميع البشر، وفي كل الأزمنة، والمدونة بطرق ووسائل، وأساليب مختلفة، من نثر وشعر، وتأريخ، وقصص، وحكم، وأدب، وتعاليم وأنذار، وأمثال، وفلسفة، ويعتبر (الكنزا ربا) مصدرالأيمان المندائي، والغذاء الروحي للمؤمنين المندائيين، ولن أدخل حتماً في تفاصيل هذا الكتاب، وقسميه (اليمين، والشمال) بقدرما اردت أن أقول، بأن كتاب المندائيين (كنزا ربا) قد كتب بلهجة آرامية، شرقية، وترجم الى اللغة الألمانية، كما ترجمه الى العربية، عبد الرزاق عبد الواحد ترجمة سيئة، اثارت ردود افعال سلبية في أوساط المجتمع المندائي، بخاصة عندما أهدى عبد الرزاق هذا الكتاب المقدس لدى الطائفة، الى صدام حسين، وهوكما نرى (شي ميشبه شي) !!

الصوم والصلاة ، والسحر ، والطلاق لدى الصابئة!!

قبل أن أتحدث عن بعض التعاليم المقدسة في الديانة المندائية،أود أن اشيرالى أن :(الطائفة الصابئية،وكما ذكرالأستاذ عزيزسباهي - رغم كونها طائفة دينية صغيرة - فقد لعبت دوراً ملحوظاً في تطورالحياة الروحية، والفكرية في بلاد الرافدين، خلال ظهورالمسيحية وأنتشارها، أوبعد ظهورالإسلام، ولاسيما بعد إزدهارالحضارة العربية -الأسلامية أيام العباسيين).ولعل العالم (جابر بن حيان،احد أعظم العلماء في القرون الوسطى، خيرمثال على الشخصيات الصابئية الفذة، التي دخلت الأسلام بعد ذلك) - حسب ما ورد في موسوعة بناء الفكرالعلمي في الحضارة الأسلامية - ناهيك عن مواقف الطائفة الوطنية المعروفة في التأريخ المعاصر، وبأتجاهها المسالم، وصلحها الدائم مع كل شرائح المجتمع العراقي !! ومن الجدير بالذكر أن المندائية تختلف عن باقي الديانات، بكونها تشكلت دون أي مؤسس بشري، فهي كما تعرف في تراثها الديني، بأنها شرعة الحياة الفطرية، التي عرفها وألتزم بها (آدم) أبو البشر. أما عن بعض مفردات الطقوس والتعاليم المندائية، فأود أن اشير الى ان المندائي يؤدي الصلاة، ويلتزم الصوم، ويمنح الصدقة، ويلتزم التعميد، التي هي (الولادة الجديدة في حياة الرب) كما ان الطلاق بالمعنى الفعلي للكلمة، غيرموجود بالمرة في الديانة الصابئية، بل هناك مايسمى بالهجران والفرقة، حيث يعود بها الزوجان الى بعضهما بدون عقد ديني ثان،وتتحقق الفرقة بين الزوجين، بسبب الزنا (بعد ان يثبت ذلك) وخيانة المعشر،والخروج عن الديانة المندائية لأحدهما، وبغيرذلك،فأنهما يبقيان(للجمري)!

وثمة أمريتهم به بعض أبناء الطائفة الصابئية،الا وهوالسحروالشعوذة، في حين أن الديانة المندائية تحرم نصاً وبشدة، السحر والشعوذة تحريماً قاطعاً، وتعتبرهما منافيين لعبادة الخالق الأزلي، فمصيرالساحر في الديانة المندائية (القطع عن عوالم النور- أي الجنة -)!!

علاقة الصابئة بالماء والنخيل والوجه الحسن :-

للمندائيين أسماء عديدة، منها الصابئة (من صبا) أي المصطبغون، أوالمتعمدون بأسم الرب العظيم، والمغتسلة، من (غسل) أي تطهر، ونظف، وذلك لكثرة أغتسالهم بالماء، أي(تعميدهم وغطسهم بالماء) كما سمي المندائيون (شلماني) أي المسالم، وكذلك (ابني نهورا) أي أبناء النور، وغير ذلك من الأسماء الأخرى، والمندائية ليست يهودية، لأنها لاتتبع تعاليم التوراة، وليست مسيحية أيضا، لأنها لاتعترف بالسيد المسيح (كأله مجسد) !!

وللعلاقة الروحية بين المندائيين والماء الجاري، فقد أقاموا منذ أقدم العصورعلى ضفاف نهري دجلة والفرات، وتحديداً في مدن وقصبات البصرة والعمارة والناصرية والكوت والديوانية وديالى وبغداد، ولودققنا في الخارطة جيدا، لوجدنا ان الصابئة يقيمون في ذات المناطق التي (يقيم) فيها النخيل العراقي،على الرغم من أنهم لايشتغلون في الزراعة، ولا يزرعون النخيل، فهم وكما معروف، يعملون في ميدان الصياغة، والنجارة، والزخرفة، اضافة الى أن بعض أبنائهم أصبح يعمل في الطب، والتدريس، والمحاماة وغيرذلك، كما أن الصابئة (والنخيل) العراقي أنبثقوا معاً من عمق أرض الرافدين، فعمرالنخيل البابلي يصل الى اكثرمن ثلاثة آلاف عام تقريباً، وهونفس عمرالصابئة في العراق تقريباً، أو أقل بقليل، لذا فان علاقة المندائيين بالماء والنخيل، فضلاً عن (شكرية) وجوههم وحلاوتها، أضافة الى تميز نوعهم الفاخر،وبراعتهم الأستثنائية في الكثيرمن شؤون الحياة،مضافاً اليها ندرة، وجودة صنفهم، دفعت بخيالي الى أن يشبههم بتمر(البرحي) العراقي، لما بينهما من المشتركات، والصفات الموحدة . ولأن البرحي غالي الثمن، وراقي النوع، وذومذاق فريد ليس مثل مذاقه بين جميع التمورفي العراق، والعالم أيضاً، ولمحدودية عدد أشجاره أيضاً، وتزاحم اللصوص والحرامية والمجرمين على (نهب) منتوجه، وشفط ثموره، وأقتلاع أشجاره، ولأن المندائيين مثل النخيل رائعون، ومبدعون، ومسالمون، ومثل تمرالبرحي، ذوومذاق أستثنائي، وحلاوة أستثنائية، وقيمة أستثنائية، أستحق المندائيون، وبجدارة لقب (البرحي) العراقي، لذا فعلى الحكومة العراقية، وجميع من له غيرة على الفسيفساء العراقية، وكل من يؤمن بتعددية العطرالعراقي، ويؤمن بالعدل والحرية والمساواة ايضاً، أضافة الى أيمانه بحق الأقوام والملل في تقريرمصائرها، وحق ممارسة شعائرها الدينية، والقومية، وعلى جميع العراقيين بمختلف أطيافهم وألوانهم، ومذاهبهم، حماية أخوتهم الصابئة المندائيين، وتوفيرالسياج الآمن لهم من الغوغاء التكفيريين، والبعثيين الأرادل، وكل أولئك المتعصبين الذين لايؤمنون بحق الآخرفي العيش والحرية، والسلام، فأمام الجميع اليوم مسؤولية الحفاظ على هذه الطائفة من الزوال والأنقراض، فالقتل الفردي، وكذلك الأبادة الجماعية، والتهجيرالقسري المنظم، سوف يقضي على هذا النوع الأنساني الراقي، فيفرغ البستان العراقي من أحد أنواعه المميزة، والغالية، والفريدة، فلا تجعلوا السلّة العراقية خالية من تمرألبرحي اللذيذ، ذلك النوع، الذي يعد (أبو) التمورالعراقية بلا منافس !!

أحـــلام كـــاسب في ســـوق مريـــدي

بغداد/ صفيد وحيد

جانب من سوق مريدي في منطقة الجوادر بمدينة الصدر

جلس جاسم محمد بين باعة اخرين على الدكة الطويلة لمحل بيع المثلجات في بداية سوق مريدي وهو يمني نفسه بالحصول على ربح جيد من بيع صفقة (الخردوات) التي اشتراها في ذلك اليوم،لم يرغمه لهب شمس الظهيرة الذي كاد يذيب الطبقة العليا من الإسفلت في شارع الجوادر في مدينة الصدر، على الذهاب الى منزله، فالعمل هو العمل والأسرة تنتظر،لم يكن هو الوحيد الذي جلس على الدكة ،الكثير من الشباب جلسوا في الظل الذي لا يكاد يغطي نصف اجسادهم، قال جاسم محمد ٣٥ عاما" وماذا يمكن ان نفعل غير هذا،الرزق البسيط الذي نحصل عليه أفضل ألف مرة من المخاطرة في أعمال اخرى". لا يتفق كلامه مع الشقوق التي انتشرت على واجهة محل المثلجات ، بفعل شظايا السيارة المفخخة التي انفجرت على الرصيف المواجه للمحل قبل نحو اسبوعين. قتل في ذلك الحادث احد الباعة وجرحت امراة عجوزكانت تمشي في الجهة الثانية من الشارع.

سوق مريدي، السوق الشهير في الجوادر، يمتد الى مسافة طويلة في شارع الجوادر ،يبدا من ماكولات (هلي) في حي الاكراد قطاع ١٧، والذي سمي باسم أكثر ساكنيه ،ويتفرع الى داخل قطاعات عديدة في اكثر مدن بغداد ازدحاما بالسكان حتى يصل الى مستشفى الجوادر .غصت المحال على جانبي الطريق بانواع عديدة من البضاعة ولكن ما يعطي السوق نكهته ، هم الباعة الذين انتشروا على الارصفة وربما توسطوا الشارع نفسه. وربما منعت السيارات من الحركة في اماكن محددة لاسباب امنية. في بداية السوق ترى الباعة متجمعون لاصطياد سيارات البضاعة التي تأتي عادة منذ الصباح وهي محملة بالبضائع و(الخردوات) ، ثلاجات مستعملة، مبردات قديمة ، ، براغي ، ادوات كهربائية، اشياء منزلية مستعملة ، والجميع ينتظرها على امل الحصول على الربح .

ابو ماجد ٥٨ عاما متقاعد يبيع اجهزة الراديو والمسجل المستعملة،قال" في الحقيقة انا لا احب الجلوس في البيت، فتجدني هنا ابيع واشتري وهذا العمل ، صحيح، انه لا يوفر لي دخلا كبيرا ولكنه افضل من الجلوس في البيت ومناكدة الزوجة " كان ابو ماجد يحاول ان يبيع راديواً قديماً وكبير الحجم اكد الى الزبون الذي رغب فيه انه روسي المنشا وباعه بسعر اربعة الآلاف دينار.حليم هاشم الموظف في وزارة الثقافة ،كان يتجول هو الاخر ،ابتسم وهو يتحدث عن السوق ، ذاكرا انه يؤدي عملين فمن جهة هو سوق كبير ،يمكن ان تجد فيه كل ما يخطر في بالك ، كما انه ملتقى لشباب القطاعات القريبة في مدينة الصدر، قال" عادة في الذهاب والاياب الى عملي ، امر داخل السوق، وأنا أحب التجول فيه " تحدث عن تجربته في السكن قريبا من السوق فاكد انه يرى الاطفال خارج منازلهم كل يوم وكأنهم لعب يرميها احد الى الخارج ، ووصف البيوت القديمة في الأزقة المزدحمة حيث يمكن ان تسمع أصوات جيرانك وهم يتحركون في محيطهم.

في المساء يخرج الناس عادة الى السوق للتبضع والفرجة ، فهنا عالم كبير ومزدحم بكل شيء. بائع (الخردوات) القديمة عيسى عبد الستار ١٨ عاما قال" ليس من السهولة الحصول على (شروة) جيدة، والعمل هنا يحتاج الى خبرة في نوع البضاعة التي تبيعها". ظاهرة انتشار هياكل الثلاجات والصناديق في وسط الطريق لتمنع وقوف السيارات خوفا منها يمكن رؤيتها بوضوح .

تحدث حليم هشام كيف وجد مرة احد الباعة يبيع كتباً قيمة اشتراها بنصف الثمن" الشيء المميز هنا ان الجميع مشغول ببيع البضاعة ولا ترى اية خصومات بين الباعة او الزبائن، رغم كثرتهم" وقف جاسم امام بضاعته المتنوعة التي وقف امامها الزبائن وهم يحدقون فيها، خردوات ،أدوات كهربائية وأجزاء كمبيوتر قديمة ، كتب عربية وانكليزية واقراص السي دي واشياء مختلفة. جاسم محمد ، لا يحب الابتعاد كثيرا عن منطقته ، وهو يتمنى ان يحصل على وظيفة أفضل من هذا العمل الذي يقوم به الان قال" انا مجبر على اتخاذ هذا العمل الذي أعيل به أطفالي وزوجتي، وأحيانا اتمنى ان اغيره ،ولكن ليس في اليد حيلة"

سكان قرية الحوته في هور الحمار

نسمع عن ملايين الدولارات لكننا نشرب الماء الملوث!

ترجمة واعداد /المدى

> تقول الحكومة انها استطاعت استعادة ساحات واسعة من الاهوار خلال السنوات الثلاث الماضية. لقد تعرضت مياه الاهوار في زمن النظام السابق الى التجفيف بشكل حول اجزاء كبيرة من الاهوار الى شبه صحراء وبعد سقوط النظام قامت الحكومة العراقية بتهديم السدود التي منعت تدفق المياه من روافد دجلة والفرات وبدأت الحياة تعود الى الاهوار وعاد ايضاً العديد من عرب الاهوار الى اماكنهم رغم ان الحياة هنالك لا تزال شاقة الى حد كبير ولا تزال الخدمات الاساسية بعيدة عن اكثر مناطق البلاد فقراً تقول الحكومة انها تخطط لمساعدة الاهالي هناك ، ولا تزال اسئلة كثيرة تحوم حول الخطط البعيدة المدى لهذه المنطقة.

ان تجفيف مياه الاهوار مضى جنباً الى جنب مع محاولة النظام معاقبة السكان الذين ثاروا عليه بعد حرب الخليج عام ١٩٩١ يقول عبد اللطيف رشيد وزير الموارد المائية كانت تلك جريمة، جريمة ضد البيئة، وضد السكان بل ضد تاريخنا وذكر ان الحكومة نجحت في استعادة قسم من الاهوار قال "تمت استعادة نحو ٦٠٪ من الاهوار ولكنه لم يحدد مساحة الاهوار التي ستتم استعادتها وبرزت مشكلة وهي ان السكان في بعض من مناطق الاهوار لا يريدون عودة المياه اليها لانهم استغلوا ارض الاهوار التي جففت كمناطق زراعية لهم.

قبل عام ١٩٩١ كانت الاهوار تغطي مساحة اكثر من (٢٠) الف كيلو متر مربع وهي اوسع منطقة مائية في الشرق الاوسط بالاضافة الى اهميتها العالمية كمنطقة آثار قديمة قامت وكالة (البي البي سي) الاخبارية بجولة فوق مياه الاهوار من على متن هيليكوبتر بريطانية ووصفوا ما شاهدوه..

لا يوجد أي وجه للمقارنة عما كانت عليه الاهوار في السابق، وكنا نرى مساحات المياه الواسعة ونحن في الطائرة حيث انتشر صيادو السمك بزوارقهم النحيفة بين اكوام القلب وشاهدنا في بعض المناطق قرى عرب الاهوار التقليدية وهي طافية على كتل سميكة من القصب ويرعى بجانبها الجاموس وكنا نكتشف مثل (ويلفرد ثيسخر) الذي عاش مع عرب الاهوار في الخمسينيات ووصف وصور المناظر نفسها.

طبيعة الحياة هنا تعود الى الاف السنين ولكن الواقع الذي يعيشه عرب الاهوار اليوم ليس فيه شيء من رومانسية التصور السابق ورغم عودة المياه الا انهم لا يملكون الكثير من الاشياء انتقلنا الى قرية مبنية من الطين تسمى (الحوته) وتقع على طرف احدى البحيرات في اهوار الحمار، الفلاح كامل مزهر وصف حياته اليومية قائلاً "ابدأ يومي بصلاة الفجر، ثم اخرج بزورقي لاجمع الحشيش لحيواناتي قبل ان يصبح الجو حارا" تتراوح درجات الحرارة هنا نحو (٥٠) درجة مئوية معظم الايام وربما تزداد في الاشهر القادمة واستمر كامل قائلاً "الحياة في قريتنا شاقة، فلا يوجد لدينا كهرباء ولا مدارس كذلك ورغم ان سكان القرية سعداء بزوال النظام السابق ولكن الحياة هنا بقيت كما كانت في السابق" ومع عودة المياه الى الاهوار الا انها لا تصلح للشرب وتبقى مشكلة الحصول على مياه نظيفة مسألة متواصلة ورغم ان مناطق الاهوار تعيش بعيدة عن اعمال العنف التي تجري في مناطق اخرى ولكن النزاعات العشائرية لا تزال تثير الاضطراب وتسبب سفك الدماء احياناً.

مشحوف ينقل قصب البردي في قرية الحوته في هور الحمار

اكد السيد عبد اللطيف رشيد وزير الموارد المائية ان الحكومة خصصت ملايين الدولارات لمناطق الاهوار والهدف منها منح السكان هناك "خدمات افضل وتعليماً ورعاية صحية ووسائل اتصالات"

ولكن كامل مزهر والسكان الاخرين يقولون انهم لم يروا أي شيء من هذه المخصصات المالية وان جزءا من المشكلة هو العنف المستمر في المناطق الساخنة مما يجعل الحكومة في مواجهة مشاكل كبيرة ولكن بعض الشكاوى المطروحة تبين ان المال المخصص لتطوير الاهوار قد اسيء استعماله كما انه ثمة اسئلة تتعلق بخطط الحكومة لهذه المنطقة، يقول الوزير عبد اللطيف رشيد ان بعض المناطق في الاهوار يمكن ان تكون محمية وطنية لحماية الحياة اليومية الفريدة فيها ولكن لا نزال نجهل ساحة تلك المحميات وتحدث الوزير ايضاً عن خطط لبعض المشاريع الصناعية الصغيرة في مناطق معينة وتوفير فرص عمل وانكر ان يكون هنالك تناقض بين "البيئة وعمليات تطوير الاهوار" كما ان هناك مشكلة مستقبلية يجب ايجاد حل لها وهي، هل يجب استغلال ما يؤكده البعض من وجود احتياطي كبير للنفط تحت مياه الاهوار والبحيرات؟.

عن وكالة الـ(بي بي سي)